لقاء من خلف قضبان المرتدّين
نداء الإسلام» تحاور الشيخ الأسير / أبو محمّد المقدسي«

مكث إخواننا في زنازين المخابرات الانفرادية لمدد لم يمكثها من قبلهم في هذا البلد إلا القليل، حيث وصلت مع بعضهم إلى سنة بكاملها.. ذاقوا فيها أصنافاً من العذاب المعنويّ والجسديّ الذي تفنّنت السلطة فيه، مما اضطرّها إلى إخفاء كثير منهم عن أعين المنظّمات الدولية التي تزور السجن..

أعتقد بأن جهاد المرتدّين المبدّلين لأحكام الله المحاربين لدين الله وأوليائه المتسلّطين على أزمة الأمور في بلاد المسلمين أولى من قتال اليهود

أما ما يشقشق به بعض المشايخ من أن العمليات الجهادية ضد اليهود لا تجلب للمسلمين إلا الدماء.. فهذه شبهة من شبه المخذّلين عن الجهاد في كلّ مكان وليس في فلسطين وحسب. ولو اتّبع المسلمون مثل هذه الشقشقات والتفتوا إليها أو اعتبروها لما قامت لهم قائمة، ولا رُفعت راية من رايات الجهاد في يوم من الأيّام..

هلا أعطيتمونا نبذة سريعة عن نفسكم وظروف اعتقالكم والحكم عليكم؟

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.

أخوكم أبو محمد عصام أو عاصم (وهو أحبّ إليّ) ابن محمد بن طاهر البرقاوي مولداً، المقدسي شهرةً، العتيبي نسباً.

محمّد أكبر أبنائي عمره 12 سنة وبه أُكنّى، ولي غيره ابنان: عمر وإبراهيم، وابنة أيضا. والمقدسيّ لقب اشتهرت به أكثر من اسمي في بداية دعوتي وكتاباتي والتصق بي وهو نسبة تشريف إلى بيت المقدس أشرف البقاع قرباً إلى مسقط رأسي وهو قرية برقا من أعمال نابلس.. التي ولدّت فيها عام 1378 هـ الموافق لسنة 1959 م، وتركتها بعد ثلاث أو أربع سنين مع عائلتي إلى الكويت حيث مكثت وأكملت دراستي

الثانوية.. وكانت أمنيتي فـي ذلـك الـوقت دراسـة الشـريعة فـي الجامعـة الإسلامية بالمدينة المنوّرة.. إلا أنّني تـوجّهت لدراسـة العلـوم فـي جامعـة الموصل بشمال العراق تحت رغبة والدي.

وكانت هذه الفترة هي فترة توجّهي، فـوفّقني اللـه مـن بـدايتها أن لا أستسلم للحزبية ولا أسمح لبوتقتها أن تحجر عليّ أو تمنعني من الاتّصـال بسائر الجماعات الإسلامية كي أستخلص ما أراه مفيـداً مـن عمومهـا منـذ البداية.

فكانت لي مشاركة واتّصـال ببعـض الحركـات والجماعـات المختلفـة، منها من كان رافداً إصلاحيّاً منفصلاً عن حركة الإخوان.

كما اتّصلت بالسلفيين مدّة، وبطائفة من جماعة جهيمان مـدّة أخـرى لا بأس بهـا، كمـا تـردّدت علـى بعـض رمـوز ومشـايخ القطـبيين.. وبعـض الاتجاهات الجهاديّة أيضاً.. وكان لي من أكثر هؤلاء إخوة ومشايخ أفاضل لا أغمطهم حقّهم، ولا أنسى فضلهم، خصوصاً وأن ذلك كان في بداية التوجّه وأوّل الطلب.. رغم مخالفتي لهم في أمور، لم أكن أخفيها عنهم.

وتنقّلت بين الكـويت والحجـاز، وكـان لـي هنـا وهنـاك احتكـاك طيّـب واتّصال كبير بطلبة العلم، وبعض المشايخ الذين أخذت عنهم بعض مفاتيح العلم، إلا أنهم لم يشفوا غليلي مما يبحث عنـه الشـباب مـن بصـيرة فـي الواقع وتنزيل الأحكام الشـرعية الصـحيحة عليـه، والموقـف الصـريح فـي حكام الزمان ووضوح السبيل إلى تغيير واقع الأمة. فعكفت على مطالعــة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميـذه ابـن القيّـم.. ثـم لفـت انتبـاهي فـي فترات تردّدي على المدينـة المنـوّرة كتـب الشـيخ محمـد بـن عبـدالوهّاب وتلاميذه وأولاده وأحفاده من أئمة الدعوة النجدية التي تزخر بها المكتبات العامة والخاصّة هناك، فعكفت عليها وقتاً طويلاً ولا أظنّني تركت كتاباً لهم مطبوعاً إلا طالعته، فكان لهذه الكتب بالتحديد أثر عظيم في تـوجّهي بعـد ذلك..

وسافرت إلـى الباكسـتان وأفغانسـتان مـراراً، وتعرّفـت خلالهـا علـى إخوة كثر وجماعات كثيرة مـن أنحـاء العـالم الإسـلامي، وشـاركت ببعـض الأنشطة التدريسيّة والدعوية هناك.. وهناك كـان أوّل طبعـة لكتـاب «ملّـة

إبراهيم» الذي كتبته في تلك الفترة، وكان تأثّري بكتب أئمة الدعوة النجدية فيه واضحاً جليّاً.

كما كانت لي جولات ومواجهات مع بعض غلاة المكفّرة تمخّضت عن بعض المصنّفات التي لم تطبع إلى الآن مثل «الردّ على غلاة المكفّرة في قاعدة من لم يكفّر الكافر وسلاسل التكفير»، كما كان لي جولات أخرى ومواجهات مع بعض جماعات الإرجاء تمخّضت عن عدّة كتب منها «إمتاع النظر في كشف شبهات مرجئة العصر» و«الفرق المبين بين العذر بالجهل والإعراض عن الدين» وغيرها..

ثمّ استقرّ بي المقام في الأردن وذلك قبل اعتقالي بسنتين فقط أي عام 1992، حيث وجدّتها تعجّ بجماعات الإرجاء التي تسرح وتمرح فيها.. فبدأت بهذه الدعوة المباركة، فكان لي ثلاثة دروس في أماكن متفرّقة من البلد، اثنان عامّان والثالث كان خاصّاً.

وكان التركيز في هذه الدروس على التوحيد ولوازمه وواجباته، و«لا إله إلا الله» وشروطها ونواقضها وأوثق عراها، وعلى عقيدة أهل السنة والجماعة والردّ على شبهات جماعات الإرجاء.. ونحوه من الموضوعات المهمّة التي تنقص كثيراً من الناس، وأحوج ما يكون الشباب إليها..

وقد تزامنت تلك الدروس مع أيّام الانتخابات للمجلس التشريعي، فاحتدمت النقاشات بين بعض الشباب الدارسين عندي وبعض أنصار الديمقراطية والانتخابات.. فاحتاج الأمر إلى المبادرة بكتابة رسالة مختصرة تتناول هذا الموضوع وتردّ على أشهر شبهات القوم، فقمت على عجالة بكتابة رسالة سمّيتها «الديمقراطيّة دين ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه»[1] طبعناها وقمنا بنشرها بين الناس في تلك الفترة.. كما قمت بخطابة الجمعة بدلاً عن أحد إخواننا الخطباء في تلك الأيّام شرحت فيها دعوة التوحيد، ودعوت الناس صراحة إلى البراءة من القوانين الوضعيّة والكفر بالمجالس التشريعية وحذّرتهم من المشاركة في انتخاباتها..

وقد كنت حرصت على توسيع نطاق دعوتنا، فقمت مع بعض إخوة التوحيد بجولات وزيارات إلى جنوب البلاد وشمالها ومناطق متفرّقة منها

[1] تكفير الأعيان له ضوابط شرعيّة، وهي تحقّق شروط وانتفاء موانع، يجب إعمالها في كلّ من ثبت إسلامه وأتى بعمل مكفّر.

نتّصل ببعض إخواننا ممّن كان لهم مشاركة في الجهاد الأفغاني وتوجّه طيّب في الدعوة ونصلهم بكتاباتنا ونحثّهم على الاجتهاد في الدعوة إلى التوحيد والتركيز عليه.

وقد لفتت هذه الدعوة المباركة على حداثتها انتباه أعداء الله والجهات الأمنيّة، كما ضاق بها ذرعاً أفراخ المرجئة وأذناب الحكومة، فأمسى كلّ منهم يكيد لها بطريقته..

فبينما اشتغل أذناب الحكومة بتشويه الدعوة ورمي إخواننا بالتكفير والغلوّ ونحوه ممّا اعتادت جماعات الإرجاء أن تشغب به على أهل الحقّ...

بدأت المخابرات بتتبّع إخواننا في عرض البلاد وطولها واعتقالهم الواحد تلو الآخر.. محقّقين معهم عن هذه الدعوة وعنّي وعن طبيعة الدروس التي ألقيها وعمّا أدعوهم إليه..

وكان هذا الأمر بالنسبة لي طبيعيّاً، وكنت أنتظره وأتوقّعه في أيّة لحظة، فهذه طبيعة هذه الطريق، وأعداء الله قد يقرّون أيّ تجمّع في البلد وأي جماعة من جماعات الإرجاء، كما كانوا يقولون لبعض من اعتقلوه من إخواننا: لماذا لا تدرس عند علي الحلبي أو عند أبي شقرة أو عند الألباني؟ أو... أو...؟ تترك هؤلاء المشايخ وتذهب عند هذا الإرهابي؟

فدعوةٌ تسلك طريق الأنبياء وتقوم بملّة إبراهيم وتصدع بالتوحيد فليس إلى تركها وترك أهلها من سبيل.

ومصداق ذلك ما قاله ورقة بن نوفل في فجر النبوّة للنبيّ : «إنّه لم يأتِ رجلٌ بمثل ما جئت به إلا عودي»!!

فمن لم يُعادى من قبل أعداء الله فإنّه ولا بدّ لم يأتِ بمثل ما جاء به النبيّ .. بل لا بدّ أن يكون له نصيب، إمّا من التقصير أو الزيغ أو الانحراف..

ولا شكّ أن دعوةً كدعوتنا لا زالت في مهدها في هذا البلد ينفعها التمحيص ويقوّيها ويزيدها صلابة ويميز الخبيث من الطيّب فيها..

قرّرت مع الإخوة أن لا نسلّم أنفسنا، وبنفس الوقت لم نتّخذ قراراً

بالمواجهة كردّ فعل غير مدروس يجرّنا إليه ويحـدّد وقتـه العـدوّ، خصوصـاً وأن تجربتنا في هذا البلد كانت لا زالت في مهدها..

دُوهم منزلي سبع مرّات من أجـل اعتقـالي، وحطّمـوا بـابه أكـثر مـن مرّة وقاموا بتفتيشه مراراً، وصادروا كثيراً من الكتب والأوراق والكتابـات، وما يعجبهم من حاجيات، وكانوا يطالبون أهلي في كلّ مرة بحضوري إلـى دائرة المخابرات وتسليم نفسي.

وفي آخر الأمر تمّ اعتقالي مع مجموعة من الإخـوة الموحّـدين الـذين كان بعضهم قد استفتاني للقيام بعمليّة عبر النهر مستعملين بعض القنابل والمتفجّرات التي كنت قد وفّرتها لهم.. وأنا لم أكن أمانع من أمثـال هـذه العمليات، وإن كنـت أقـول بـأن الـدعوة إلـى التوحيـد فـي هـذه المرحلـة والصبر والجهاد من أجلها، أولى فـي هـذا البلـد الخـاوي إلا مـن جماعـات الإرجاء.. لأنّ أنصار تلك العمليات (أي ضـدّ اليهـود) كـثر، خاصّـة فـي هـذا البلد بسبب مـوقعه الجغرافـي مـع فلسـطين.. أمّـا أنصـار دعـوة التوحيـد الذين يعدّون العـدّة لجهـاد أئمـة الكفـر، الـذين هـم فـي الحقيقـة حـرّاس (إسرائيل) والذين زرعوها في قلب العالم الإسلامي وسـلّطوا غيرهـا مـن كفّار الشرق والغرب على خيراتها، فقليلٌ.

ودخـول القنابـل والمتفجّـرات فـي الموضـوع مكّـن الأجهـزة الأمنيـة الحاقدة على هذه الدعوة، من تطوير التهم التي كانت ستوجّهها إلينا، مـن تهمة إطالة اللسان علـى الطـواغيت وتهمـة التنظيـم غيـر المشـروع كمـا يسمّونه.. إلى تهمة حيازة المفرقعات والمؤامرة الإرهابية على أمن البلــد والسلامة العامّة..!!

وهذا كلّه من تدبير اللـه تعالى لهذه الدعوة.. وصدق اللـه {وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين}.

فقد كان لهذا الاعتقال وكيد أعداء اللـه في تضـخيم القضـيّة والضـجّة الإعلامية التي افتعلتها أجهزتهم إظهاراً لدعوتنا وتسريعاً لنموّها وانتشـارها بفضل اللـه تعالى.. وكم للـه من سننٍ في الضرّاء لا توجد في السرّاء.

فقد ربط اللـه على قلوبنا ووفّقنـا سـبحانه منـذ اللحظـة الأولـى مـن اعتقالنـا بالصـدع بـدعوتنا المتضـمّنة لبراءتنـا مـن طـواغيت الحكـم ومـن

قوانينهم وأربابهم المشرّعين.. فواجهناهم بذلك صراحة دون مداهنة أو مداورة.. وكان لهذا الموقف الذي طوّرناه فيما بعد في السجون والمحاكم خطابة وكتابة وتدريسا، أثره البالغ في اغتياظ أعداء الله واشتداد حقدهم على كلّ من كان يعرفنا أو يحوز كتاباتنا أو يتّصل بنا من قريب أو بعيد..

ولذلك مكث إخواننا في زنازين المخابرات الانفرادية التي مُنع أكثرهم فيها عن الاتّصال بالعالم الخارجي لمدد لم يمكثها من قبلهم في هذا البلد إلا القليل، حيث وصلت مع بعضهم إلى سنة بكاملها، وأقلّهم مكث 6 شهور.. ذاقوا فيها أصنافاً من العذاب المعنويّ والجسديّ الذي تفنّنت السلطة فيه، مما اضطرّها إلى إخفاء كثير منهم عن أعين المنظّمات الدولية التي تزور السجن في أوقات متفرّقة.. وهي تجربة فريدة مباركة، كان لها الأثر في زيادة صلابة الكثير منهم..

ثم أُخرجنا من الزنازين وأُحلنا إلى السجون، حيث بعثوا بي إلى سجن في شمال البلاد «سجن قفقفا»، وبعثوا بأغلب الإخوة الباقين إلى السجن المركزي في جنوبها «سجن سواقة»، وذلك طمعاً منهم في التفريق بيننا وإضعاف صفّنا ودعوتنا.. {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين}.. فما أن وطأت رجلي ذلك السجن، وخرجت من عزلة الشهور الماضية، حتّى باشرت بالدعوة التي كنت متعطّشاً إليها، فقمت بكتابة بعض المنشورات كسلسلة سمّيتها «يا صاحبي السجن ءأربابٌ متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار» ضمّنتها موضوعات متفرّقة حول التوحيد، وملّة إبراهيم، والعبادة، والشرك، ولا إله إلا الله ونواقضها وشروطها ولوازمها، وسعيت في نشرها بين السجناء..

وكان من بينهم من أخرجها معه من السجن عند الإفراج عنه وقام بنشرها خارج السجن ممهورة باسمي معنونة بسجن «قفقفا» ممّا أغاظ أعداء الله، وقام بعض أولئك المفرج عنهم بالاتّصال ببعض إخواننا ليحصلوا منهم على بعض كتاباتنا، ثمّ يقدّر الله أن يكون لهؤلاء السجناء دورٌ في مهاجمة مركز للمخابرات الأردنيّة بالأسلحة الرشّاشة، حيث اعتقل بعضهم، وصرّح بمعرفته بي وبلقائه بي في السجن، ووجدت عنده بعض كتاباتي.. فجعل الله تعالى هذه الحادثة سبباً في لمّ شملي مع

إخـوتي، حيـث نُقِلـت علـى إثرهـا مباشـرة إلـى السـجن المركـزي فـي الجنوب..

وهذا ينقلنا إلى السؤال الثاني.

* * *

كيف يقضي الشيخ وقته، وما هي أحواله وأحوال إخوانه المساجين؟

بعد اجتماعنا في السجن المركزي، باشـرنا بتنظيـم صـفّنا ونشـاطاتنا داخل السجن، وأوّل أمر دعوت الإخوة إليه هـو إقامـة صـلاة الجمعـة فـي المهجع، لتكون موئلاً للسجناء ومنبراً لدعوتنا، وبالفعل باشرنا بذلك، فبعـد أن كان الإخوة لا يقيمونها لترجيحهم عدم وجوبها في الأسر والسفر.. صار مهجعنـا منـبراً لـدعوة التوحيـد، فشـرط الوجـوب ليـس شـرطاً للجـواز.. والغاية من إقامة الجمعة كانت الدعوة وتوفير البديل عن مسـجد السـجن الذي يخطب فيه ضابط مـن أذنـاب النظـام، كمـا صـلّينا صـلاة العيـد فـي المهجـع وسـاحته مـراراً. وكـان المصـلّون معنـا مـن السـجناء، أضـعاف المصلّين في مسجد السجن.

كما رتّبت سلسلة من الـدروس للإخـوة، وانشـغل الإخـوة فـي دعـوة السجناء من القضايا الأخرى ممّن يتوافدون على مهجعنـا أو يـذهب إليهـم إخواننا في مهاجعهم..

وقد كان بعض إخواننا حديث عهد بهذه الدعوة، ولذلك لـم يكـن يخلـو الأمر من بعض الأخطاء التي مَبعثها الحمـاس أو التسـرّع والإفـراط الـذي يزول عادة بطلب العلم.. مما جعلني أبادر إلى كتابة مجموعة رسائل تبيّن حقيقة دعوتنا وتظهرها بثوبها المشرق الذي يحبّه اللـه ويرضاه..

فوجّهت بعض تلك الرسائل إلى السجناء (كمختصر «ملّـة إبراهيـم»)، وبعضه وجّهته إلى عساكر السجن وضبّاطه وإدارته الذين كانوا يستهجنون مفاصلتنا لهم وبراءتنا منهم ومن قوانينهم..

فكتبت لهم رسائل مثل «هذان خصمان اختصـموا فـي ربّهـم»، «مـن نحن وما هي تهمتنا»، وبعضـها إلـى جواسـيس النظـام فـي السـجن وهـم «الأمن الوقائي» فلم أستثنهم، بل كتبـت لهـم رسـالة بعنـوان: «موعظـة

إلى مرتب الأمن الوقائي في سجن سواقة»، «سيذّكر من يخشى ويتجنّبها الأشقى»، بيّنت لهم حقيقة عملهم، وأنّه أخبث من جريمة الجواسيس العرب لصالح (إسرائيل) ممّن كانوا يقضون عقوبات بالسجن.. فأولئك يتجسّسون ليهود على مرتدّين، وهم يتجسّسون للمرتدّين على الموحّدين!!

كما قمت بكتابة عدد من الردود على كثير من الأفكار المنحرفة والشبهات المطروحة داخل السجن.. إذ من الطبيعي أن يكون لكلّ دعوة خصوم وأعداء يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً..

وكان هؤلاء يتمثّلون بوعّاظ السجن الذين كُثِّفت اجتماعاتهم بالسجناء بعد أن كانت شبه معدومة.. وذلك لبثّ الشبهات التي تدافع عن نظام الحكم وتسوّغ باطله وتدفع عن أربابه وأزلامه وتشكّك في دعوتنا.. كما شارك في ذلك -وللأسف- بعض جماعات الإرجاء المخالفة والمخذِّلة لدعوة التوحيد ممّن يقدّمون الأفكار والعقول على النقول، وكانوا من السجناء، فكان لنا جولات ومناظرات مع هؤلاء وهؤلاء..

وكتبنا عدّة ردود نذود بها عن دعوة التوحيد ونصدّ عنها سهام التشبيه والتخذيل.. فكتبت ردّاً على بعضهم في دعواه أنّ ملّة إبراهيم ليست من شرعنا.. وعلى غيره ردّاً في أبواب الإيمان ومسمّاه ولوازمه عند أهل السنّة، وردّاً آخر على من تطاول على الصحابة ووصفهم بالخيانة ليرقّع لعساكر السجن وجواسيس النظام سمّيته «الشهاب الثاقب على من افترى على الصحابيّ حاطب».

كما كتبت رسالة لجميع هؤلاء سمّيتها «كشف شبهات المجادلين عن عساكر الشرك وأنصار القوانين».

كما قمنا بإصدار مجلّة سمّيناها «مجلّة التوحيد» شارك كثير من الإخوة بكتابة موضوعاتها، وكانوا يقومون بنسخ أعداد منها لتوزيعها بين السجناء في مهاجع السجن المختلفة..

وكان يتردّد على السجن ويزوره في بعض الأحيان نوّاب من المجلس التشريعي بدعوى تفقّد أحوال السجناء.. فقمت بكتابة ما سمّيته «كشف الزور في إفك نصوص الدستور» وهو نقد للدستور الأردني وبيان مناقضته

لشرع اللـه تعالى، وضمّنته بيـان الكفـر الصـريح الموجـود فـي المجـالس التشريعيّة وفسادها نقلاً وعقلاً، وقد قمنا بتسـليمها لأكـثر مـن نـائب ممّـن حضر لزيارة السجن..

كمـا قمـت بـالرد علـى بعـض مقـالاتهم الـتي نشـروها فـي الصـحف المحلّية يعرّضون فيها بدعوة التوحيد ويرمون شبابها بالغلوّ والتكفير وغيـر ذلك من افتراءاتهم.. وردّت أيضاً على كثير مما كان يكتـب فـي الصـحف بقصد تشويه هذه الدعوة المباركة أثنـاء محاكمتنـا.. وكـان أكـثر مـا نكتبـه يخرج من السجن بفضل اللـه تعالى. وكان يقوم بعض الإخوة علـى طبعـه ونشره وتوصيله إلى المعنيين بالرد من صحف يومية أو أسبوعية أو كتّـاب أو نوّاب..

كما وفّقنا اللـه إلى استغلال فترة محاكمتنا التي تعمّد النظام إطالتهـا متعذّراً بما صاحبها من مناوشات ونقاشات بيننا وبين قضـاة الكفـر.. فقـد وفّقنا اللـه تعالى بفضله وكرمه، أن نُريَ أعداء اللـه تعـالى مـن المواقـف والردود ما لم تشهده قاعـات محـاكمهم مـن قبـل فـي هـذا البلـد.. فمـن التكبير والهتافـات المنـدّدة بالنظـام وقـوانينه وأربـابه المتفرّقيـن ورفـض القيام للقضاة أو احترام المحكمة الكافرة.. كما كنّـا نقـف بينـي يـدي كـلّ جلسـة تقريبـاً لنخطـب بالحضـور مـن عسـاكر ومحـامين وقضـاة وسـائر الحضور رغماً عن أنوف أرباب المحكمة الـذين كـانوا يغتـاظون مـن ذلـك ويضطّرون إلى الانتظار حتّى ننتهي من خطاباتنا التي كنّـا نـبيّن لهـم فيهـا حقيقة دعوتنا وتهمتنا، وحكم هذه الأنظمـة القائمـة الجاثــمة علـى صـدور المسلمين، ونذكر كفر محاكمها وقوانينها وندعوهم جميعاً، عساكراً وقضاة ومحامين وغيرهم، إلى البراءة من النظام الكافر والكفر بقوانينه واجتناب نصرتها ليصيروا جنداً للتوحيد وأنصاراً للشريعة..

كما قمت بتسليم رئيس محكمة أمن الدولة في أول الجلسات رسالة كنت قد جهّزتها كـ«لائحة اتّهام» للنظام الذي جعلته هو وأربابه في قفـص الاتّهام، سمّيتها بـ«محاكمة محكمة أمن الدولة وقضاتها إلى شرع اللــه»، فسلّمتها لهم بعد أن سلّمونا لوائح اتّهامنا.

وقد بارك اللـه تعالى بتلـك الجهـود والمواقـف.. فكـان لهـذه الـدعوة الأثر البالغ في السجن وخارجه بفضل اللـه تعالى وحده..

وتلقّف السجناء من مختلف المهاجع والقضايا أوراقنا وكراريسنا، وكان لذلك أثرٌ ظاهرٌ في السجن.. ونشط الإخوة في الدعوة فاهتدى على أيديهم كثيرٌ من السجناء، صاروا بعد ذلك جنداً للتوحيد ودعاة لدين الله..

كما كان يتوافد علينا في أيّام الزيارات إخوة من أرجاء البلد كثير منهم لم نكن نعرفهم، ولكنّهم سمعوا بدعوتنا أو وصلتهم كتاباتنا، فصار كثير منهم يزورنا يشدّ من أزرنا ويزوّدنا ببعض أخبار المسلمين، ومنهم من كان يراجعنا في بعض المسائل أو يستفتينا ببعض ما يشكل عليه، فأخرجت لهم كثيراً من الكتابات التي كتبتها في السجن، ومنها ما كان ردّاً خاصّاً على بعض تساؤلاتهم، فساهموا بنشره خارج السجن.. فغصّت حلوق أعداء الله بهذه الدعوة، وضاقوا بها ذرعاً، فهم لم يعتقلونا ولا سجنونا ليشهروا دعوتنا ويظهروها وينشروها، بل ليردعونا عنها ويحجبوا الناس عن نورها..

كما قال تعالى: {ولا يزالون يقاتلونكم حتّى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة} الآية.. ومن ثمّ بادروا بإجراءات وردود فعل مختلفة داخل السجن وخارجه..

أما الخارجية فتمثّلت بمحاولات تشويه دعوتنا عبر الصحافة بالافتراء تارّة وباستغلال إطلاقات بعض الشباب من حديثي العهد بطلب العلم.. وقد أعاننا الله فتصدّينا لهم بالردود المختلفة كما تقدّم..

كما كتبت عدّة رسائل ذكرت فيها بعض الضوابط التي تضبط كثيراً من المسائل للشباب، خوفاً من أن ينحرف بعضهم إلى الإفراط أو التفريط تحت ضغط السجن أو شغب المخالفين..

ثمّ بدؤوا يضيّقون الخناق على زوّارنا من الشباب بتشديد إجراءات الزيارة أو منعهم وطردهم أحياناً، وتفتيشهم تفتيشاً دقيقاً عند الدخول والخروج، والتحقيق معهم وإحالة أسمائهم إلى الجهات الأمنيّة، التي تقوم باعتقالهم فيما بعد والتحقيق معهم حول زياراتهم لنا والغاية منها، وعن كتاباتنا وكيفيّة خروجها من السجن، ويتوعّدونهم في حالة تكرار الزيارات

بإيقاع العقوبات عليهم.. وفعلاً كانوا يقومـون باعتقـال مـن لا ينقطـع عـن زيارتنا، وربّما وضعوا بعضهم تحـت الإقامـة الجبريـة بعـد أخـذ تعهّـد منهـم بعدم زيارتنا.. ويضعون على البعض الآخر كفالات مالية يهدّدون بمصادرتها في حال مخالفة ذلك التعهّد..

أمّا على المستوى الـداخلي فـي السـجن، فقـد قـامت إدارة السـجن بعزل جميع السجناء عنّا ومنعهم من الاتّصال بنا والصـلاة معنـا.. وفرضـت عقوبات على كلّ من يضبط في صـلاة الجمعـة أو غيرهـا عنـدنا أو يضـبط شيء من رسائلنا وكتاباتنا بحوزته، وكانت العقوبات تتمثّل بالضـرب تـارّة، والتقييد بأشباك السجن ليبقى المرء معلّقاً واقفـاً لمـدد طويلـة، والحبـس الانفرادي.. وكنّا نحثّ الإخوة على الثبـات والصـبر، خصوصـاً ممّـن اهتـدوا منهم من أصحاب القضايا الأخرى، ونعرّفهم بأنّ هذه سنّة اللـه في طريق هذه الدعوة، لكن عندما كان الأمر يتعلّق بالدين كأن يُسـبّ ديـن أخ منهـم أو تحلق لحيته كنّا نتّخذ إجراءات سريعة تتمثّل غالباً بالتجمهر علـى أبـواب السجن وعصيان الأوامر ورفض الانصياع لتعليمات السجن بالعدد اليومي، ونرفض الـدخول إلـى المهـاجع مسـاء، ونقـوم بإيصـال رسـالة شـفويّة أو مكتوبة نخوّف الإدارة فيها ونذكّرها باللـه، ونحذّرها من الاستهتار بـديننا أو التعرّض لما يمسّه. وكانت تجري بيننـا وبينهـم مفاوضـات واتّفاقـات علـى ذلك، وكنّا نؤكّد عليهـم دائمـاً فـي مقابلاتنـا معهـم بأنّنـا لا نبـالي بالعقوبـة المتمثّلة بالإفراد بالزنازين ونقبل بمثلها لمن يريدون عقـوبته مـن إخواننـا، أمّا التعرّض لديننا فلن نسكت عليه بحال ولن نرضى به: فقد سـجنّا لأجـل ديننا، ونحن مستعدّون للموت في سبيله.. وقد أسمعناهم هذا مراراً.. إلى أن تعارفت إدارة السجن معنا على ذلك فلم يكونوا يتعرّضـون لـدين أحـد من إخواننا حتّى وإن كان ممّن هداه اللـه في السجن من أصحاب القضايا الأخرى.. وذلك بعد صدامات عديدة جرت مع عساكر السجن، وصلت فـي بعض الأحيان إلى درجة استعمالهم الغاز ومحاولتهم اقتحام السجن علينـا، وكان اللـه تعالى يصرف كيدهم عنّا ويزيدنا عزّة، وهذا كلّه من فضل اللـه تعالى الذي جعل لأوليائه هيبة في صدور أعدائه..

وفي آخر الأمر فوجئت بنقلي إلى سجن المخابرات العامّة في عمّان، وذلك قبل خمسة شهور من تاريخ اليوم..

وجرى معي تحقيق حول نشاطاتنا في السجن وحول زوّارنا من الشباب وعن كتاباتنا وكيفيّة خروجها من السجن وعن أمور كثيرة متعلّقة بأوضاع السجن وإخواننا في الداخل والخارج.. واستعمل معي أسلوب التهديد تارّة بأن قالوا بأنّني سأمضي مدّة محكوميّتي وهي خمسة عشر سنة في زنازينهم ولن يرجعوني إلى السجن المركزي.. وتارة عرضوا عليّ البراءة من كتبي وتحذير الشباب من دعوتي مقابل الإفراج عنّي.. ولا أدري أكانوا جادّين في هذا العرض أم هو مجرّد جسٍّ للنبض. وعلى كلّ حال فقد ثبّتنا الله بكرمه ورددنا ذلك في وجوههم، وصرّحنا بأنّنا لا زلنا رغم السجن وزنازينه وضيقه على عقيدتنا نبرأ إلى الله منهم ونكفّر أربابهم المشرّعين.. فتمّت إعادتي إلى السجن المركزي بعد خمسين يوماً، حيث فوجئت أنا وجميع الإخوة بعد ذلك بأقل من شهر، بنقلنا إلى سجن صغير في منطقة البلقاء، حيث تم إفرادنا نحن أصحاب القضايا الإسلامية عن سائر السجناء والسجون..

وكان هذا هو خلاصة مكرهم، وآخر مخطّطات خفافيش الدجى الذين حرقت عيونهم أنوار دعوة التوحيد وضاقوا بها ذرعاً.

ومع هذا فها نحن بفضل الله تعالى رغم هذه العزلة التي عزلونا فيها عن العالم أجمع، نشتغل بطلب العلم الشرعي.. وها هي رسائلنا لا زالت بفضل الله تعالى تنفذ عبر أسوارهم وقضبانهم وسجونهم وسدودهم وتتعدّى جدرانهم إلى العالم.. كما هو حال هذه الكلمات.. نقرع بها رؤوسهم كما قرعناها من قبل في زنازينهم وفي محاكمهم وفي سائر سجونهم.

والله متمّ نوره ولو كره المشركون.

فنسأل الله تعالى لنا ولإخواننا الموحّدين في كلّ مكان التوفيق والثبات وحسن الختام.

* * *

اتُّهمتم وسجنتم لدعوتكم وسعيكم لتنفيذ عمليّات ضد أهداف إسرائيلية. كيف تعلّقون على ذلك؟ وما رأيكم في العمليّات الاستشهادية؟

قد بيّنت مراراً أنّني لا أرى مانعاً شرعيّا يمنع من الجهاد ضد اليهـود أو غيرهم من الكفّار المحـاربين للمسـلمين فـي أي بقعـة مـن بقـاع الأرض، ويتأكّد ذلك ويجب إذا كان في أرض مسلمة مغتصبة محتلّة كفلسطين. ولا يخالف في هذا إلا جاهل بدين الإسلام.

ولكنّني أعتقد بأن جهاد المرتـدّين المبـدّلين لأحكـام اللــه المحـاربين لدين اللـه وأوليائه المتسلّطين على أزمة الأمور في بلاد المسلمين أولــى من قتال اليهود لقوله تعالى {يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الـذين يلـونكم مـن الكفّار}. فهؤلاء هم الذين يلوننا مباشرة، وهم الـذين يشـكّلون بجيوشـهم حجابـاً حارسـاً لليهـود مـن هجمـات المجاهـدين.. ولأنّ كفـر الـردّة أغلـظ بالإجماع من الكفر الأصلي. ولأنّه ما مكّن لليهود ولا للأمريكان ولا لغيرهم من الكفّار في بلاد المسلمين وجعل أموال المسلمين وبلادهـم نهبـة لهـم إلا هؤلاء المرتدّين.. ولأنّ قتال اليهود المحتلّين كما قلنا لا يكاد يخالف في مشروعيّته إلا من طبع اللـه على قلبه وأعماه عن نور الـوحي.. أمـا قتـال هؤلاء الحكّام الكفرة وأنصـارهم فهـو ملتبـس علـى كـثير مـن المسـلمين ويُجادل فيه ويصدّ عنه كثيراً من المتعالمين.. ولأجل ذلك نؤكّد علـى هـذا الواجب، إحياء لهذه الفريضـة المعطّلـة وتوجيهـا للمسـلمين إلـى الإعـداد المعنويّ والمادّي لهذا.

* * *

ما هو ردّكم على المشايخ الذين يعلّمون أتباعهم بـأنّ تلـك العمليات انتحاريّة، وأنّها لا تجلب إلاّ الضرر والدمار للمسلمين الفلسطينيين؟

أمّـا العمليّـات الـتي يقـوم بهـا بعـض الشـباب فـي فلسـطين بتفجيـر أنفسهم بعبوات ناسفة من أجل جهاد اليهـود وإلحـاق الضـرر الفـادح فـي صفوفهم، فنحن وإن كان لنا عليها بعض الملاحظات التي أشرت إليها فـي إجابتي على مثل هذا السؤال في بعض الفتاوى التي أخرجناهـا قبـل سـنة من سجن سواقة.. ولعلّها طبعت..

إلا أنّنا نخالف من يصفها بالانتحار أو يحكم علـى أصـحابها بالنـار.. لأنّ استقراء الأدلة الشرعية يدلّ على أن المنتحر الذي ورد فـي حقّـه الوعيـد الشديد في النار.. إنّما هو من قَتَل نفسه اعتراضاً على قـدر اللــه تعـالى،

أو جزعاً وخوفاً من قضاء اللـه أو استعجل الموت لقلّـة صـبره علـى البلاء أو الجراحات ونحوها..

فما دام من يقوم بتلك العمليـات مـن المسـلمين الموحّـدين لا يفعـل ذلك الشيء من هذا، فلا يجوز إطلاق حكم المنتحـر الـوارد فـي الأحـاديث عليه ولا إلحاقه بالوعيد المذكور فيها..

ولكن الذي يجب التنبيه إليه في مثل هذه العمليات أنّ هنـاك نصوصـاً عامّة تنهى عن قتل النفس مطلقاً حتّى وإن لـم يكـن للأسـباب المـذكورة آنفاً. لذلك كانت أمثال هذه العمليـات مـدار بحـث واجتهـاد عنـد العلمـاء.. ولها أشباه ونظـائر فـي كتـب الفقـه القديمـة كمسـألة التـترسّ الشـهيرة يمكن إلحاقها بها.. وقد فصّلت الكلام علـى ذلـك وذكـرت الأدلـة فيـه فـي الفتوى المشار إليها، والتي وجّهت القائمين على مثل هذه العمليـات فيهـا إلى دراسة الأمر دراسة شرعية جادّة، وتوعية الشباب القائمين عليها إلى أمور أهمّها:

بذل الجهد في استعمال وسائل التكنولوجيا الحديثة كأجهزة التفجيـر عن بعد وأجهـزة التـوقيت ونحوهـا ممـا يقلّـل عـدد الضـحايا فـي صـفوف المجاهدين، فإنّ هذا واجب عليهم ما استطاعوا إليه سبيلاً، فالأخ المجاهـد الموحّد جوهرة نفيسة في هذا الزمان لا ينبغي التفريط بها لأهداف يمكـن حصـدها دون خسـائر مـن هـذا النـوع، خصوصـاً فـي ظـلّ عـدم الدولـة والتمكين...

أن يكون التركيز فـي مثـل هـذه الأعمـال علـى الأهـداف العسـكرية الموجعة وإظهار الصـورة المشـرقة للجهـاد الإسـلامي بـأن لا يتعمّـد قتـل الأطفال ونحوهم ممّن أمر الشرع باجتنابهم إلا لضـرورة لا يمكـن التمييـز فيها، كما في حديث الصعب بن جثامة في البخاري وغيره أنّ رسول اللــه سُئل عن تبييت الكفّار -أي الهجـوم عليهـم ليلاً- وفيهـم ذراريهـم، فقـال: «هم منهم، لا حمى إلا حمى اللـه ورسوله».

وأن يكون في مثل هذا العمل مصلحة عظيمة عامّة وحقيقيّة أو دفـع مفسدة حقيقيّـة ليسـت ظنّيـة لا يمكـن دفعهـا إلاّ بهـذا الطريـق.. أمـا أن يُستعمل مثل ذلك لقتل كافر أو كفّار يمكـن قتلهـم مثــلاً بالمســدّس أو

البندقـيـة، فـهـذا لا يحلّ قتل

النفس لأجله لأنّـه ليـس بضـرورة، ويـمــكن التوصّـل إليـه بغيـر تلـك الوسيلة..

والخلاصة.. أنّ مثل هذه العمليـات قـد أفـتى علماؤنـا بجـواز أشـباهها ونظائرها، فيما يتحقّق فيه دفع مفسدة عظيمة حقيقيّة لا يمكن دفعهــا إلاّ بذلك..

أما ما يشقشـق بـه بعـض المشـايخ مـن أن العمليـات الجهاديـة ضـد اليهود لا تجلب للمسلمين إلا الدماء.. فهذه شبهة من شبه المخـذّلين عـن الجهاد في كلّ مكان وليس في فلسـطين وحسـب. ولـو اتّبـع المسـلمون مثل هذه الشقشقات والتفتوا إليها أو اعتبروها لما قـامت لهـم قائمـة، ولا رُفعت راية من رايات الجهاد في يوم مـن الأيّـام.. وهـل وصـل إلينـا ديـن اللـه وفتحت البلاد شـرقاً وغربـاً إلا علـى أشـلاء ودمـاء المجاهـدين ممّـن سلف.. وهل يكون جهاد بلا دماء؟ وهـل تُحقَـن الـدماء إلا بسـفك الـدماء؟ كما قيل:

بسفك الدما يا صاحبي تحقن الدما وبالقتل ينجو الناس لمن غبّة القتل

وتقول العرب: «القتل أمسى للقتل».

وهل يكون الجهاد إلا بالتضحيات والدماء؟

ألم يقل اللـه تبارك وتعالى: {إن الله اشترى مـن المـؤمنين أنفسـهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون..}.

وقال تعالى: {فليقاتل فـي سـبيل اللـه الـذين يشـرون الحيـاة الـدنيا بالآخرة ومن يُقاتل فـي سـبيل اللـه فيقتـل أو يغلـب فسـوف نـؤتيه أجـراً عظيماً}.

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الـتي تـبيّن فسـاد وبطلان شـبهات المرجفين الذين يوضعون خلال صفوف المسلمين للتخذيل عن الجهاد..

واللـه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل .

* * *

لا ريب في عدم جواز الصلح مع اليهود وهم محتلون لأرض المسلمين، ولكن ما هو الحكم الشرعي فيمن يقوم بهذا الصلح، وفيمن يعاون اليهود في ضرب الحركة الإسلامية التي تجاهد داخل فلسطين؟

حقيقةُ هذه المعاهدات التي تُبرم مع اليهود أنّها معاهدات كفريّة، فهي في حقّ أنظمة الحكم القائمة عليها: (زيادةٌ في الكفر) ، تُضاف إلى أنواع كفرها الأخرى من التشريع مع الله أو تعطيل أحكام الله، ومحاربة أولياء الله، واستهزاء بدين الله، وغير ذلك ممّا عدّدناه وفصّلناه وأقمنا الأدلة عليه في غير موضع.

إنّ هذا الصلح ليس حقيقته صلحاً شرعيّاً مؤقّتاً من قبيل ما كان يجري بين المسلمين وأعدائهم لضرورة.

بل هي اتّفاقيات ومعاهدات أخوّة وصداقة وتولٍّ حقيقيّ دائم للكفّار، تقوم أساساً على تعطيل وتحريم ما شرعه وأوجبه الله تعالى على هذه الأمّة من جهاد الكفّار، وترتكز على تولّي أعداء الله وحراستهم ونصرتهم على الموحّدين المجاهدين.. وهذا ما تقوم به الآن فعلاً الأجهزة الأمنية في الأنظمة والسلطات التي آخت اليهود، من نصرة اليهود على الموحّدين طبقاً إلى الاتفاقات الأمنية التي أُبرِمت ضمن تلك المعاهدات، والتي تنصّ على محاربة الإرهاب الذي يعنون به الجهاد، وذلك بالتعاون العسكري في هذا المجال وتبادل المعلومات والخبرات والكيد للمجاهدين والتربّص بهم، وهذا بحدّ ذاته عمل مخرج من ملّة الإسلام كما نصّ على ذلك علماؤنا في نواقض الإسلام، حيث قالوا: «مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين كفر». وصنّفوا في ذلك الرسائل والكتب التي شحنوا فيها الأدلّة الظاهرة والصريحة على ذلك، ومن أوضحها قوله تعالى: **{ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم}**، وقوله عزّ وجلّ: **{ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أُخرِجتم لنخرجنّ معكم ولا نُطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنّكم والله يشهد إنّهم لكاذبون}**. فتأمّل كيف عقد الله بين هؤلاء المظهرين للإسلام وبين اليهود عقد الأُخوّة، أي أنّه كفّرهم، وذلك

لأنّهم عقدوا معهم اتّفاقية نصرة، فوعدوهم بنصرتهم على المسلمين في حال قتال المسلمين لهم، فتأمّل كيف كفَّرَهم الله مع أنّه يعلم أنّهم بوعودهم هذه وباتفّاقياتهم كاذبون.. فكيف بمن نصر اليهود فعلاً على المجاهدين المسلمين وتربّص بهم الدوائر وسعى في إحباط جهادهم..؟؟ لا شكّ أنّه أشد كفراً وأولى بالقتال والجهاد.

* * *

كيف تنظرون للأوضاع على الساحة الأردنيّة؟

الأوضاع على الساحة الأردنيّة لا تخرج عن كونها جزءاً من أوضاع سائر بلاد المسلمين التي تسلّط عليها الحكّام الكفرة الذين عطّلوا شرع الله وفرضوا على الناس مناهجهم وقوانينهم الكافرة التي جعلت التشريع والحكم والأمر والنهي كلّه لهم لا لله، وفتحوا البلاد على مصراعيها للكفر والإلحاد والفساد، وسلّطوا أعداء الله على خيراتها ومقدّراتها، في الوقت الذي كبّلوا فيه وحاربوا الدعاة المخلصين الذين يسعون للعودة بالأمة إلى أمجادها.

أما دعاة الفتنة والإرجاء الذين ملؤوا الديار عندنا، فمرضيٌّ عنهم.. وها هم اليوم بين يدي الانتخابات التشريعيّة.. التي اعتادوا على المشاركة فيها.. إلا أنّهم أعلنوا مقاطعتها في هذه المرّة وأظهروا مخالفة الحكومة.. وليس ذلك من باب البراءة من القوانين الوضعيّة والكفر بالديمقراطية الشركيّة.. أي ليس هو من جنس خلاف الرسل مع أعداء الشريعة، كلاّ، إذ خلافهم هذا لا يقوم على إنكار الديمقراطية وغيرها من المناهج المناقضة للتوحيد.. بل هو خلاف سخيف وساقط بين معارضة مهلهلة تطالب بتجذير الديمقراطية والتوسّع في تطبيقها، وربّما أضافوا إلى ذلك بعض المطالب الدنيويّة الهزيلة التي لا تتناسب مع شعاراتهم الضخمة التي يضلّلون الناس بها. وأشدّ أنواع التصعيد عندهم، هي هذه المعارضة القانونية التي تتمّ دون مخالفة القوانين أو الخروج عليها، وأن ينتقدوا سياسات الحكومة التي تتبدّل عندنا كلّ سنة تقريباً، أمّا الطاغوت عندهم فذاتُه مصونة لا تُمَسّ، ولا يقتربون منها، بل على العكس، فكثيراً ما يكثرون له المديح والثناء دون خجل ولا حياء.. فأي خير يرتجى من أمثال هؤلاء...؟؟

ولا يتورّع أقطابهم الذين ينتسبون إلى بعض جماعات الإرجاء من

التحـالف لأجـل تلـك المطـالب السـاقطة مـع العلمـانيين والـوطنيين واليسـاريين والبعـثيين والشـيوعيين تحـت غطـاء مـا يسـمّونه بالوحـدة الوطنيّة، التي هي راية من رايات الجاهليـة المعميّـة.. الـتي جـاء الإسـلام لهدمها، ويسعى هؤلاء لإحيائها.. فالقوم لا يعرفون حقيقة ديـن الرسـل ولا يفقهون معنى «لا إله إلا اللـه» ولا يرفعون رأساً بلوازمها وعُراهـا الـوثقى التي تفرّق بين الوالد وولده وبين الزوجة وزوجها وبيـن الرجـل وعشـيرته لأجل العقيدة والدين. بل يفتخـرون بدسـاتيرهم وقـوانينهم الجاهليـة الـتي ألغت هذا الفرقان العظيم الذي شرعه اللـه لعباده الموحّدين.. وقد كتبـت في السجن رسالة صغيرة بعثتها إلى بعض هؤلاء القوم، في بيـان تعـارض هذه الوحـدة الـتي ينـادون بهـا مـع توحيـد المسـلمين، سـمّيتها «الفرقـان المبين بين توحيد الوطنيين وتوحيد المرسـلين».. هـذا وقـد سـعد النظـام وفرح بأمثال هذه المعارضة القانونيّة، وكثيراً ما خرج علينا طاغوته يمدحها ويزكّيها في خطاباتها ويذكر وقوفها إلى جنب النظام وحرصـها علـى أمنـه وعلى الوحدة الوطنيّة.. فهنيئاً لكلّ المحبّين، فالمرء يُحشر مع مـن أحـبّ. في خطّ موازن آخر لهؤلاء نجد مـن أدعيـاء السـلفيّة مـن تقلّـد المناصـب الخبيثة عند طواغيت الحكم، واستفرغ جهده ووقته في الذود عنهم وإقامة الشـبه الباطلـة للـدفاع عنهـم، والتهـوين مـن كفرهـم، فمـا هـذا الكفـر المتشعّب والشرك الصراح عند القوم إلاّ كفـراً دون كفـر.. وفـي المقابـل تخصّصت طائفة أخـرى منهـم وتفرّغـت للصـدّ عـن دعـوة التوحيـد وشـنّ الغـارة علـى دعاتهـا، والسـعي فـي تشـويههم واتّهـامهم بـالغلوّ والتكفيـر ووصـفهم بـالخوارج المعاصـرين، وغيـر ذلـك مـن التهـم الـتي اعتـاد أهـل الإرجاء لمز أهل السنّة بهـا وتوجيههـا إليهـم.. هـذه بعـض أوضـاع السـاحة عندنا.. والحديث يطول فـي هـذا البـاب خصوصـاً مـع السـجن وشـجونه.. وحال القوم كما قال الشاعر:-

ألقاب مملّكة في غير موضعها كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد

فتنة عمياء نفق فيها الرويبضـة وتصـدّروا لتـوجيه النـاس والصـدّ عـن السبيل.. وفي وقت شغلت فيـه الحكومـات النـاس عـن دينهـم الـذي هـو عصـمة أمرهـم بـالركض وراء تحصـيل لقمـة العيـش والانشـغال بتكـاليف الحياة التي اشتعل فيها الغلاء وسط نهب النظام لخيـرات الأمّـة وإغراقهـا

في مـديونيّاتٍ ضـخمة للعـالم الخـارجي تـبرّر بهـا ركوعهـا الـدائم لأعـداء الأمّة..

ووسط هذا الغثاء كلّه.. يبقى الأمل معقوداً في دعوة التوحيد الناشئة، أن يبارك اللـه فيها.. ويلمّ شمل أنصارها، ويهيّئ لهم من لدنه وليّـاً ويهيّـئ لهم من لدنه نصيراً.

* * *

يدور هذه الأيام جدال كـبير حـول جـواز إعلان الجهـاد ضـد أعداء اللـه المبدّلين لشريعته، فما هـو رأي الشـيخ فـي ذلـك؟ وما هي الظروف الموضوعية والواقعية لبدء الجهاد، في ظــل الاستضعاف الذي تعيشه الأمّة الإسلامية؟

الـذي أعتقـده وأُعلنـه دائمـاً أن الجهـاد ضـد أعـداء اللــه المبـدّلين للشريعة المتسلّطين على الأمّة في هذا الزمان هو مـن أعظـم الواجبـات التي يجب أن يهتمّ بها المسلمون، بل ذلك أهمّ عنـدنا ومُقـدّم علـى جهـاد اليهود المحتلّين لفلسطين كما تقدّم.

قال تعالى: **{...فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهـم ينتهون}.** وفي صـحيح البخـاري وغيـره عـن عُبـادة بـن الصـامت قـال: «دعانا النبي فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعـة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمـر أهلـه إلا أن تروا كفرا بواحاً عندكم من اللـه فيه برهـان». وفـي صـحيح مسـلم عن عبداللـه بن مسعود أن رسول اللـه قال: «ما من نبي بعثه اللـه في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحابٌ يأخـذون بسـنته ويقتـدون بأمره ثم إنها تخلُف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون مـا لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهـدهم بلسـانه فهـو مـؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبـة خـردل». وفيه أيضاً عن أبي سعيد الخدريّ قال: سمعت رسول اللـه يقول: «مــن رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فـإن لـم يسـتطع فبقلبه وذلـك أضـعف الإيمـان». والنصـوص فـي هـذا البـاب أكـثر مـن أن نحصرها في هذا المجال.

والخطاب فيها متوجّه إلى عموم الأمّة لا يُستثنى من ذلك أحد إلا بدليل، وقال تعالى: **{وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله}.** فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لطواغيت الحكم، وجب قتالهم حتّى يكون الدين كلّه لله.

فكيف وقد جعلوا جميع السلطات التشريعية وغيرها لهم لا لدين الله كما نصّت عليه دساتيرهم الكفريّة.. وقد فصّلناه في كثير من كتاباتنا التي كشفنا فيها النقاب عن تلك الدساتير وبيّنا ما فيها من إفك وتزوير.

وكذلك بسطنا الأدلّة على وجوب خلع الحكّام الكفرة والخروج عليهم وقتالهم وتغييرهم، وهي كثيرة في الكتاب والسنّة، وكلام علماء الأمّة في ذلك واضح صريح جمعناه في غير موضع، ورددنا على شبهات المخذّلين عن ذلك من جماعات الإرجاء في هذا الزمان..

ودعونا المسلمين لأن يسعوا إلى تنظيم جهودهم وتوحيد صفوفهم لأجل ذلك، وأن يتصدّر لقيادة الشباب في هذا الأمر العظيم علماءُ الأمّة المخلصون، وأن يُبذل الجهد الجاد للإعداد المادي والمعنوي لهذا الأمر الجلل، والذي يجب أن تتركّز جهود الأمة عليه، وهو مسؤولية الأمة جمعاء، وقد أخبر النبيّ أنّ «من لم يغزُ أو يحدّث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق».

فلا بدّ من بذل الجهد في الإعداد لذلك، خصوصاً وأن الأمة تعاني من التشرذم وتبعثر طاقاتها وإمكاناتها في ظلّ واقع الاستضعاف هذا وفي ظلّ غياب الإمام القوام عليها، الذي يلمّ شملها ويجمعها.

والخلاصة أنّه يجب في هذا الباب العمل الجماعي الجاد المتكامل الذي يجب له من الإعداد والإمداد ما لا يجب لغيره، ونقدّمه على الأعمال الفرديّة، وهذا لا يعني عندنا بطلان الأعمال الفرديّة إذا كانت تقوم على نهج سديد وفقه صحيح وبصر بالواقع ومعرفة بميزان المصالح والمفاسد.. فشرط الوجوب الذي لا يلزم إلا المستطيع، غير شرط الجواز.. والجهاد فريضة مشروعة إلى يوم القيامة لا يعطّلها أو يُلغيها شيء.

ومنه يُعرف مرادنا عندما نمثّل فريضة الجهاد بفريضة الزكاة.. وذلك من حيث أنّ الخروج على هؤلاء الطواغيت لتغييرهم وإقامة دولة الإسلام

عملٌ كبير لا بدّ من إعداد متناسب مع هذا الهدف الخطير، ودراسة متكاملة للواقع الذي نعيشه، وتوقيت مناسب، فلا يلزم لمن يقدر عليه المبادرة إليه دون إعداد جاد.. كالزكاة التي لا تجب إلا بعد بلوغها النصاب وحلول وقتها بعد دوران الحول.. والكلام في هذا التمثيل على اللزوم والوجوب.. أمّا الجواز والمشروعيّة، فنحن مع دعوتنا إلى العمل المتكامل، لا ننكر مشروعيّة عموم الجهاد لأعداء الأمّة حتّى وإن كان ذلك القتال لا يحقّق تغييرهم، فيجوز أن يقاتلهم المرء وحده، كما أشار أبو بكر الصدّيق في كلامه عن المرتدّين، أو ضمن عصابة وطائفة كما في قصّة أبي بصير وكما في الأحاديث المتواترة التي ذكرت الطائفة الظاهرة القائمة بدين الله وأنّها طائفة أو عصابة مقاتلة إلى قيام الساعة لا يضرّها من خالفها ولا من خذلها.. وقد قال تعالى: **{فقاتِلْ في سبيلِ الله لا تُكَلَّفُ إلاّ نَفسَكَ وحرِّضِ المؤمنين}.**

فالجهاد عبادة مشروعة تجوز في كلّ وقت، وهو المدرسة التي يتربّى من خلالها الأفراد، والشعيرة التي تثمر وتفرز لنا القاعدة العريضة [1] التي ينتظرها ويدندن حولها ويشترطها كثير من المشايخ لبدء الجهاد.. ولذلك فلا يجوز تعطيلها أو تخذيل الأمّة عنها بحال..

وذلك كما هو الشأن في فريضة الزكاة، لا تعطّل لفقد إمام أو غيره، وهي وإن كانت لا تجب إلا مع بلوغ النصاب ودوران الحول، إلا أنّ الصدقة عموماً تجوز في كلّ وقت، فلا يجوز صدّ الناس وتخذيلهم عنها بحال.. بل قد نصّ طائفة من أهل العلم على جواز تعجيل الزكاة قبل وقتها للحاجة، كما فعل النبيّ في صدقة العبّاس، فافهم هذا، ولا تخلط بين كلامنا وكلام المخذّلين عن الجهاد.

* * *

ما هي مؤلّفاتكم، وما هي الكتب التي لم تنشر حتّى الآن؟

لم ينشر من كتاباتي إلا القليل، وذلك لظروف التنقّل وعدم استقراري في السنوات الأخيرة. فممّا نُشر:

(1) يقصد الشيخ بالقاعدة العريضة ما يشترطه البعض من وجوب وجود قاعدة واسعة تضم معظم أبناء الشعوب المسلمة ممن يريدون حكم الإسلام قبل البدء بالجهاد .

* ملّة إبراهيم.

* الكواشف الجليّة.

* الديمقراطيّة دين **{ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه}.**

* المصابيح المنيرة في أجوبة أهل الجزيرة.

* العبادة: معناها وصفاتها وشروط قبولها.

* جزءان من سلسلة تحذير الساجد.

* وسمعت وأنا في السجن أنّ «إمتاع النظر في كشف شبهات مُرجِئة العصر» قد طُبع.

أمّا بقيّة كتاباتي، وإن كان كثير منها يتداوله الشباب ويصوّرونه، إلا أنّها لم تطبع، فمن ذلك:

* كشف النقاب عن شريعة الغاب (نقد للدساتير والقوانين الوضعيّة).

* إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس.

* القول النفيس في التحذير من خديعة إبليس (مصلحة الدعوة).

* الصارم المسلول على سابّ الربّ أو الدين أو الرسول.

* التحفة المقدسيّة في خلاصة تاريخ النصرانيّة.

* كشف الزور في إفك نصوص الدستور (نقد الدستور الأردني).

* هذه عقيدتنا (العقيدة المقدسيّة).

* النبذة في أصول الفقه.

* كشف شبهات المجادلين عن عساكر الشرك وأنصار القوانين.

* الشهاب الثاقب في الردّ على من افترى على الصحابيّ حاطب.

* الإشراقة في سؤالات سواقة.

* تبصير العقلاء بتلبيسات أهل التجهّم والإرجاء.

* إضاءات التيسير في ورقات الأسير (مجموعة فتاوى مهمّة في التكفير وضوابطه والتعامل مع الكفّار والزجر بالهجر والانتخابات

ونحوها..)

* سلسلة من آفـات الـدعاة، وهـي عبـارة عـن توجيهـات دعويـة فـي السجن.

* لا تحزن إن اللـه معنا.

* محاكمة محكمة أمن الدولة وقُضاتها إلى شرع اللـه.

* هذان خصمان اختصموا في ربّهم.

* الفرق المبين بين توحيد المُرسَلين وتوحيد الوطنيين.

* إجابة السائل في الرد على ورقات الإيمان لأبي عادل.

* هداية الحليم إلى أن الحكمة والموعظة الحسنة وأهم المهمات في ملّة إبراهيم.

* موعظة موجّهة إلى مرتب الأمن الوقائي في السجن.

* إضافة إلى مجموعة رسائل وردود متفرّقة كُتبت بمناسبات مختلفـة في السجن.

وهناك مجموعة كتابات تحتاج إلى بعض المراجعة وتكون جاهزة، حالَ السجنُ دون تكميلها، أهمّها:

* مساجد الضرار وحكم الصلاة خلف أولياء الطاغوت ونوّابه.

* الفرق المبين بين العذر بالجهل والإعراض عن الدين.

* الرد على غلاة المكفّرة.

* الرمحية.

* ومشروع قديم لم أنته منه بعد، وهو كتاب: نزع الحسام.

نسأل اللـه التوفيق والسداد والإخلاص والقبول بمنّه وكرمه.

* * *

ما هي المنهجية التي يقوم عليها فكر الشيخ المقدسي؟ وكيف تتميّز عن منهجية علماء آل سعود أو "الشيوخيين"؟

ليس لنا فكر خاص غير ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، من اتّباع عقيدة الفرقة الناجية أهل السنّة والجماعة، والتركيز في الدعوة على التوحيد ولوازمه وحقوقه وعُراه الوثقى ومحاربة الشرك بأنواعه، خصوصاً شرك العصر ومناهجه الكفريّة..

والتمسّك بالوسطيّة التي كان صدر هذه الأمّة عليها.. وعدم الانحراف عن سبيل المؤمنين.. لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط. وأهمّ ما تتميّز به دعوتنا الصدع بملّة إبراهيم بإظهار البراءة من الكفّار ومعبوداتهم ومللهم الباطلة على اختلاف توجّهاتهم كما هو شأن الطائفة القائمة بدين الله «ظاهرين على الحقّ»، نسأل الله أن يجعلنا منهم.. ونمقت الحزبيّة البغيضة التي فرّقت الأمّة وجعلتها فرقاً وأحزاباً كلّ حزب بما لديهم فرحين.. ونعدّ أنفسنا من جند التوحيد وخدّام الشريعة، نبذل دعوتنا لكلّ المسلمين وندور مع الكتاب والسنّة حيث دارا، ومتى ما وجدنا القيادة الربّانية المجاهدة التي تقودنا بهدي الكتاب والسنّة، إلى نصرة دين الله انضوينا تحت لوائها، وصرنا لها جنداً وأنصاراً وحواريّين.. ونحثّ الشباب على طلب العلم الشرعي والتبصّر بواقعهم، وندعوا إلى إقامة حكم الله في الأرض بالإعداد المتكامل لجهاد كفرة الحكّام، الذين نكفّرهم هم وأنصارهم ومن يتولاّهم من علماء السوء[2] ويسوّغ باطلهم ويقيم الشبه الباطلة لتهوين كفرهم وتثبيت عروشهم..

ونرى مع هذا مشروعيّة الجهاد مطلقاً، وإنكار المنكر وتغييره باليد لأصحاب النهج السديد والفقه الصحيح المتبصّرين بميزان المصالح والمفاسد..

ولذلك فإنّ أعداء الله لا يرضون عنّا، كما لا نرضى عنهم، وهم في كيد دائم لنا ولإخواننا الذين هم على هذه الطريق..

ومنه يعرف ويتميّز منهجنا عن منهجيّة علماء آل سعود الذين بايعوا الطاغوت وأعطوه صفقة يدهم وثمرة فؤادهم، وأفنوا أعمارهم في الدفاع عنه، وسخّروا علمهم في الذود عن عرشه وتثبيت أركانه.

[2] إذا كان عالماً بحالهم مزوّراً حقيقتهم على الأمّة؛ وهذا شرط ضروريّ في الكفر عند أهل السنّة والجماعة.

* * *

تمارس الأنظمة سياسة تحجيم العلماء العاملين عن طريق التشويش عليهم وسجنهم وتعذيبهم والسماح في المقابل لأصحاب حركة الإرجاء بالتحرّك بلا قيود، فيما تمدّ عملاءها الضالّين المضلّين بالدعم الرسمي والإعلامي والمادي إلخ.. كيف ترون التصدي لهذه المؤامرة التي تستهدف تكبيل عقول الشباب المسلم وثنيهم عن إقامة شرع الله؟ وما هي -برأيكم- الطريقة المثلى للتصدّي لأدعياء السلفيّة الجدد، الذين تتمحور دعوتهم حول المدافعة والذود عن الحكّام المبدّلين للشريعة، سواء في جزيرة العرب أو الأردن أو غيرهما؟ وكيف يجب أن يُتعامل مع أتباعهم؟

الذي أعتقده أنّ ذلك يكون بالاعتصام بالكتاب والسنّة، وتوجيه الشباب إلى طلب العلم الشرعي، وتحذيرهم من الزهد به، بسبب سلوك أولئك العلماء العملاء.. وإقامة المعاهد الشرعيّة المتحرّرة عن الأنظمة للتشجيع على طلب العلم، والاهتمام بالنجباء من أبناء المسلمين ليكونوا فيما يأتي علماء الأمّة وسندها.

فإنّ النبيّ قد قال: «إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً من صدور العباد، ولكن ينزعه بقبض العلماء، فإذا ذهب العلماء، اتّخذ الناس رؤوساً جهّالاً فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا».

فيجب تحذير الشباب من رؤوس الضلالة سواء كانوا من علماء الحكومات أو من أدعياء السلفيّة الذين أفنوا أعمارهم في الجدال عن الطواغيت وأنصارهم والصدّ عن جهادهم، وشنّ الغارة على من كفّرهم أو سعى إلى جهادهم من الموحّدين.. فالواجب بيان تلبيسات هؤلاء وكشف شبهاتهم.. مع الاشتغال بدعوة التوحيد وعدم التضرّر بإرجافات القوم وتخذيلهم.. والثبات على سبيل المؤمنين ودعوة المرسلين وملّة إبراهيم، وعدم الاستيحاش لقلّة السالكين أو الاغترار بكثرة المنحرفين والهالكين..

أمّا أتبَاع أولئك المذكورين، إن لم يكونوا ممّن يصرّ على باطلهم، فيجب الصبر على دعوتهم ومحاولة تبصيرهم لإزالة الغشاوة عن أعينهم..

فكم قد نجّى الله من أمثالهم ببركات دعوة التوحيد، فصاروا لها جنداً

وأنصاراً مخلصين، بعد أن تبرّؤوا من ضلال شيوخهم وباطلهم.

ولا أرى للشباب المسلم أن يضيّع جهده ووقته بالانشغال بمعارك جانبيّة تحرفه عن أصل دعوته وجهاده.

ونحن لولا الضرورة التي تلجئنا أحياناً إلى الردّ على تلبيسات أدعياء السلفيّة وكشف شبهاتهم، لما انشغلنا بهم ألبتة، وكلّما وجدنا من يسدّ هذا الباب فإنّنا نحمد الله، ونمضي في دعوتنا، دون الالتفات إلى شغب القوم أو تطاولهم على أشخاصنا وافترائهم علينا.. فأعداء ديننا في هذا الزمان كثير.. وما يجب علينا تجاه ديننا ودعوتنا ثقيل وكبير.. والعمر جدّ قصير.

وأخيراً، فإنّ الله تعالى يقول: **{فأمّا الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}.**

نسأل الله تعالى أن ينفع بنا في دعوتنا، وأن يسدّدنا ويتولاّنا برحمته.

* * *

هل من وصيّة توجّهونها للأمّة الإسلامية؟

أوصيهم ونفسي بتقوى الله تعالى والتمسّك بدينهم وتوحيدهم، وأن يعضّوا عليه بالنواجذ، وأن يتبَصَّروا بما يكيده ويدبّرهم لهم أعداؤهم من طواغيت الحكم الذين يستخفّون بالأمّة ويلعبون بمقدّراتها..

وأُوصي الشباب أن يرجعوا إلى دينهم، وأن يتربّوا في مدرسة الجهاد، الذي هو ذروة سنام الدين..

وأن يذكروا حديث المصطفى : «إذا تبايعتم بالعينة واتّخذتم الزرع واتّبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاّ لا يرفعه حتّى ترجعوا إلى دينكم».

{يا أيّها الذين آمنوا كونوا أنصار الله..}.

واسعوا جادّين لنصرة دين الله الذي خذله أكثر الخلق، فإنّ أعظم الأعمال في هذا الزمان الذي غاب فيه سلطان الإسلام وعُدمت فيه دولته وصارت لأعدائه.. هي نصرة الدين والتوحيد والدعوة إليه والعمل من أجل رفعته وإعزازه.

فليشمّروا وليبادروا إلى ذلك.

فتلك حروب من يغب عن غمارها ليسلمَ، يقرعُ بعدها سنّ نادم

فليلحقوا بركب الطائفة القائمة بدين اللـه التي أخبر عنها النـبيّ فـي الحديث المتواتر -فالسجن والبلاء والموت في طاعة اللـه خيـرٌ مـن حيـاة يُذلّ فيها الدين وأهله - «لا تزال طائفة من أمّتي يُقاتلون علـى أمـر اللــه -وفي رواية- يُقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة، لا يضـرّهم مـن خالفهم ولا من خذلهم، حتّى تأتي الساعة وهم على ذلك».

تمّت هذه المقابلة في سجن البلقاء بـالأردن فـي جمـادى الآخرة لسنة 1418 من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

موقعنا على الانترنت

منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws

http://www.almaqdese.com

http://www.alsunnah.info

حقوق النشر غير محفوظة